تجربة الثقافة في الفلسفة الألمانية

نيتشه غادمير

تاريخ الارسال:15-03-2018	تاريخ القبول: 06-08-2018	تاريخ النشر:15-10-2018

سبية سوهيلة*
باحثة دائمة بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران. الجزائر
sabiaphilos@yahoo.fr

المرجعية الفلسفية لتجربة الثقافة

يدخل هذا البحث في اطار مقاربة الثقافة من زاوية نظر فلسفي علما أن هذه الأخيرة تتقاطع ممكناتها مع الدراسات السوسيولوجية والأنثربولوجية والأدبية التي عكفت كثيرا على مسح مضمون هذا المصطلح وفق مقاربات منهجية وميدانية تخص البحث الأنثروبولوجي الاجتماعي في مختلف تمثلاته، إذ أن الحديث عن ميدان فلسفة الثقافة DIE philosophie der kultur، يطرح اهتماما جديرا بالمساءلة عن هذا الفرع الحديث العهد في الخطاب المعاصر، وقد انفردت الفلسفة الألمانية بهذا الاشتغال الثقافي بناءا على القيمة الفلسفية الفاعلة من وجهات نظر فينومنولوجية، تأويلية، نقدية فكل منbildung[1] kulturعززت التجربة الألمانية لفكرة الثقافة عبر المرجعيات التي دفعت بميلاد العديد من الأعمال الفلسفية والتي تعد محرك البحث الفلسفي الراهن فعندما نتكلم عن أزمة الثقافة KRISIS AUS KULTUR نهاية الفلسفة، ونطرح سؤال التقنية، ونسيان الكينونة، انحطاط الحضارة، فإننا نستكنه بصورة مباشرة نيتشه، هوسرل، هايدجر، غادامير، كاسيرر....الخ.

إذن الفلسفة الألمانية المدخل الموجه للنظر في حال الثقافة بمحاولة جدية في خلق مهام جديدة في الفكر والفلسفة وهو فحوى الرهان الألماني المعاصر، وانطلاقا من هنا يمكن الخوض في غمار "فلسفة الثقافة" وفق الإمكان الفلسفي الذي يطرحه الأثر الثقافي أو التوظيف الفلسفي للثقافة عبر تجربة الامكان وقد تجسد هذا الأمر عبر مشاريع فلسفية طرحت إمكانات تعالج الثقافة من مختلف جوانبها الفكرية والتاريخية، الفنية واللغوية، الدينية والتراثية ونجدها ماثلة عند هوسرل ونيتشه بفعل الأزمة التي دقت باب الثقافة الأوروبية وقد أعلن عنها نيتشه فأوروبا حسب نيتشه، دخلت عدمية Nilihisme وقد خلقت وراء ذلك إجحاف لقيمة القيم (إرادة القوة ،الحياة) هنا نجد نيتشه يشخص مرض وانحطاط الثقافة الألمانية ويعيد للفلسفة شرعيتها، تم تلاها التأسيس الفلسفي لمفهوم الأزمة مع المشروع الفينومينولوجي الهوسرلي حيث طرح هذا الأخير تجربة المعيش die erfahung aus leben أو المعيش الانساني كتشخيص لوقع الثقافة هنا يظهر الانعطاف الهوسرلي في قدرة الامكان الفلسفي بتحديد أزمة الثقافة الانسانية (ثقافة الفكرة idenne Kultur) وصولا الى هايدغر وغدامير إذ تتفرد التجربة الهايدجرية الفلسفية باتخاذه من الثقافة اليومية دربا في التفكير الكينونة حيث اعتبر مهمة الفيلسوف الحق هو فهم تجربة الوجود وبذلك حققت مقولة الفهم مطلب هرمينوطيقا الثقافة

* باحثة دائمة بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران. الجزائر/ أخر الإصدارات: الهايدجرية في الفلسفة الفرنسية: بين الفلسفة والسياسة ، مجلة مجلة أبعاد، العدد04، جانفي،2017 ، وهران، ص269.

[1] - تعج كلمة البيلدونغ في تاريخ الثقافة الألمانية بعدة مدلولات تشترك مجملها في التربية والتعليم الجمال، عد إلى شوقي محمد الزين، الثقاف في الأزمنة العجاف فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى،2013.

الفلسفية مع غدامير إذ يقول هايدجر في هذا السياق " الهرمينوطيقا قضية غداميرية" ويعتبر غدامير فيلسوف ثقافة بالامتياز وذلك وفق الامكانات الذي طرحها في الحقيقة والمنهج.

ممكنات فلسفة الثقافة بين نيتشه وغادمير:

لامست المشاريع الفلسفية الألمانية هامش الثقافة ووجهتها نحو مركز الخطاب المعاصر وقد تحددت معالم هذه التجربة الفلسفية بدءا مع "نيتشه" الذي تحدث في نصوصه عن الأزمة التي دقت باب الحضارة الأوربية وقد خلفت وراءها اجحاف لقيمة القيم (ارادة القوة, الحياة) حيث تفطن نيتشه بفعل قراءته النقدية إلى تلك المفاهيم التي شرعت لها الفلسفة في نسختها الحديثة من الذاتية إلى التعالي والمطلق التي حكمت على تاريخ الفلسفة دائما بالرجوع إلى الموروث الميتافيزيقي.

من هنا تجسد الخلق التجديدي لروح الخطاب الفلسفي مع نيتشه ببناء صورة جديدة للفكر كمحاولة للبقاء في أرض الفلسفة على حد تعبير نيتشه. ومن تم يظهر مسعى العمل النيتشوي في تخريجه لمقصد العدمية ببعديها الثقافي والديني من خلال المنعرج الجديد الذي غير مسار العلاقة بين الفلسفة والدين بالرجوع ال فكرة موت الالهههذا التي حملت معنا رمزيا للثقافة الدينية الالمانية فوجهت برنامج الفلسفة الى الانسان باعتباره صانع قيم الحياة

" سيفهمني الألمان دون صعوبة إذا ما قلت أن الفلسفة قذ دخلها الفساد بسبب ما دخلها من دم لاهوتي"[2] فنيتشه أوكل الى نفسه مهمة استرجاع مجد الفلسفة التي فقدت شرعيتها بقراءة نقدية وجينيالوجية لتاريخ التراث الفلسفي بدءا من اللحظة الإغريقية وصولا إلى عصره (السقراطية، العقل، المثالية، الرومنسية) متفحصا بذلك المرجعيات المثالية التي انبت عليها ثقافة الشمال حيث وجه مطرقته الى ثقافة عصره التي اصيبت بمرض الانحطاط ملخصا إياها في الرومنسية التي نخرت جسم الثقافة الألمانية بالتشاؤم والاستسلام بهذا فإن خلاص الثقافة مع المشروع النيتشوي لن يتحقق إلاّ باجتثاث الرومنسية من جدورها ليجد بديلا لها في الجنوب في قوله التالي " لا أملك من القوة ما يجعلني أميل إلى الشمال ... أملك وفرة الروح نحو الجنوب"[3] فكان العلاج النيتشوي متمثل في عودة فيلسوف التراجيديا المقرون بالحياة ومعايشتها بالسير نحو الفن للتبشير بثقافة ألمانية وتجديدها على نحو جمالي وإبداعي عن طريق: "تعلّم الرؤية كونها المدرسة الأولية لحياة العقل، تعلّم التفكير فهذا الأخير يحتاج إلى برنامج وتقنية، فالحياة والإرادة هي التي تحدد فكرنا وتجربتنا"[4]

إذن قدمت التجربة النيتشوية في برنامجها الفكري دربا جديدا في الحقل الفلسفي وقذ تبلور في الاشتغال الثقافي نحو رؤية مستقبلية للفيلسوف الفنان القادر حسب تقدير نيتشه على خلق ثقافة تحمل قيما محبة للحياة ومتشبعة بالإرادة .

تأطرت المرجعية الفكرية التي رسمت تجربة غادمير لفكر الثقافة بمواصلة هذا الرهان الذي بدى واضحا في مقدمة كتابه العمدة "الحقيقة والمنهج" فالإمكان الفلسفي الذي يطرحه الاثر الثقافي أو بالأحرى التوظيف الفلسفي للثقافة عبر تجربة الإمكان جعل غادمير يستثمر في التجربة الانسانية عبر خطوطها الجوهرية منيرا بذلك دربا من دروب الثقافة، باعتبار أن

---

[2]- نيتشه فريدريك، نقيض المسيح، ترجمة : علي مصباح، منشورات الجمل، الطبعة الأولى،2011، الشدرة10،ص35.

[3]- نقلا عن حميد حمادي وهشام بن دوخة، نيتشه والمتوسط ، مجلة التدوين، العدد3، 2011،جامعة وهران،ص124.

[4]- نيتشه، فرديريك، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، ط1، 1996، ص ص 72، 73.

فالفعل الثقافي نشاط تأويلي يحمل عدة دلالات منها التراث الحوار التاريخ التأويل، اللغة، الفهم الفن.

فالبداية مع البعد الثقافي للتراث باعتباره المخبر أو المجال الذي أجريت عليه تجارب الممارسة الفلسفية وبالتالي فان الرجوع الى هذا المخزون الفكري في الذاكرة الأوربية يتطلب فعلا استعماليا إنه مطلب الحوار مع التراث "فقد أبدى القدماء وعي كبير لضرورة واهمية فن الحوار"[5] في التعامل مع الفلسفة الى درجة أخد فيها الحوار مكانا جوهريا في تشييد مشاريعهم الفلسفية لكن السؤال المطروح هنا: ما الاستحداث الذي أضافته الفلسفة المعاصرة بمعاودة هذا المطلب داخل السياق الثقافي عند غادمير؟

لعله البعد التأويلي في قراءة الثقافة الإنسانية عامة والإغريقية خاصة فمهمة الفيلسوف حسب غادمير تبدأ بالعودة الى التراث وواضح أن هذه التجربة الفلسفية استهواها معظم مفكري الألمان فنجدها ماثلة عند نيتشه هوسرل هايدجر ليتمثلها غادمير لكن هذا الرجوع الى زمن البدايات له مبررات تجديدية تستدعي البحث في ثنايا التراث ومفارقاته لا لإحياء واستنساخ لقضاياه ولهذا فان مسعى الالتفات الغاداميري للتراث هو ملامسة التجربة اليونانية والكشف عن مزالقها لأجل التأسيس للثقافة الراهنة في الفكر إذ يقول غادامير "إن فلاسفة ماقبل سقراط تقصو وبحثو عن المصير النهائي من دون أن يعرفوه سلفا وهو مصير غني بالإمكانيات لقد كانت الفلسفة عندهم مغامرة فكرية نحدها خبراتهم الشخصية وعلاقتهم بالعالم"[6] فمغزى هذا الحوار هو تحقيق مطلب الفهم بالعودة الى الفلسفة اليونانية من أجل تقدير مشكلات الفلسفة الراهنة.

إن غادمير عبر تصوره يعزز النشاط الثقافي التأويلي في أمرين أساسيين هما :اظهار المرونة التاريخية للثقافة، وإرادة تجديد التجربة الانسانية وفق أسئلة توائم الوضعية المعاصرة وبهذا فان الثقافة هي مشروع الحوار مع الانسان.

".....ان السؤال يستدرج الاشياء الى الانفتاح.....ان فن اثارة الاسئلة فن للتفكير...."[7]

فالهدف من بعث فعل الحوار في المقام التأويلي هو فهم التجربة الانسانية بكل نواحيها النفسية والاجتماعية والفنية وقد جسد غادامير هذه العملية الثقافية انطلاقا من التراث معتبرا إياه نصا يمثل خبرات مختلفة للفهم الانساني لأن التأويل الذي يمارسه غادامير مرتبط بالخلفية التاريخية وهي الامكانات الثقافية عبر التجارب الانسانية المحمولة في ثنايا الزمن ".....فتلقي حقيقة التراث معناه تطبيق لقضاياه و مسائله على اللحظة الراهنة "[8] فالمقصد الغاداميري إبراز الأفق الثقافي للفلسفة بتشخيص وضعيتها بين التراث والتقنية والتذكير دائما على الحوار لأن عملية التثقيف المعاصرة أهملت هذا الدور فغادامير تمكن من استجلاب الحوار في مقام العلوم الإنسانية ليطلق مشروعه التأويلي وفق الانتاجات التي قدمها النص وعالمه، الحكم المسبق، التاريخية، هنا يتبلور الإمكان الثاني للثقافة بعد التراث حيث نلتمس في الفكر الغاداميري قضية الثقافة التاريخية التي تعنى بحدث الفهم بغية تأسيس التجربة

---

[5] - توفيق سعيد، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، 2002، ص81.

[6] - غادمير هانزجورج، بداية الفلسفة، تر: علي حاكم حسن ناظم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، ط2002،1، ص04.

[7] - غادمير هانزجورج، الحقيقة والمنهج الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، تر: علي حاكم حسن ناظم، دار أوبا لطباعة والنشروالتوزيع،ط2007،1، ص 483 486.

[8] - غادمير هانزجورج، فلسفة التأويل الأصول المبادئ الأهداف، تر: محمد شوقي الزين، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف،ط2006،2،ص16 21.

الانسانية وفق امكانياتها التاريخية فمهمة الهرمينوطيقا هو تجاوز الحدود المنهجية المطروحة من قبل العلوم الحديثة حيث يتمثل التبرير الغادامیري أن تأويل النص وفهمه ليس بمسالة معرفية وانما ينبثق من تجربة عامة للإنسان فالغرض من المشروع التأويلي تحقيق مطلب الفهم الانساني وبهذا تتحول الهرمينوطيقا الى رؤية كلية كونية فالأولوية تعود الى الحقيقة فالنص يقدم حقيقة تاريخية باعتباره موجه لأناس في عصر ما بكل اشكاله الثقافية الاجتماعية وهنا يبرز الإمكان الفلسفي للثقافة عبر الأفق التاريخي

اذن الأفق الثقافي قادر على خلق أي تأويل فلسفي عندما ينتمي الى ثقافة معينة لكن الاهتمام الفلسفي بسؤال الثقافة يبقى من المشاريع الي تحمل في طياتها فعل التحدي نتيجة المنافسة الانثروبولوجية والسوسيولوجية ومع هذا تبقى الثقافة هم الفكر والمفكر.

قائمة المراجع والمصادر

1- فريدريك نيتشه، نقيض المسيح، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، الطبعة الأولى،2011.
2- فريدريك نيتشه، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، ط1، 1996.
3 _ توفيق سعيد، في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 2002.
4_ غدامير هانز جورج، بداية الفلسفة تر:علي حاكم حسن ناظم دار الكتاب المتحدة بيروت ط1 2002.
5_غدامير هانز جورج الحقية والمنهج الخطوط الاساسية لتاويلية فلسفية تر:علي حاكم حسن ناظم دار اويا للطباعة والنشر والتوزيع ط1 2007.
6_غدامير هانز جورج، فلسفة التأويل الأصول المبادئ الأهداف تر:محمد شوقي الزين الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، ط2006،2.
7- حمادي حميد وبن دوخة هشام، نيتشه والمتوسط ، مجلة التدوين، العدد3، 2011،جامعة وهران.